جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التربية الفنية
المرحلة الرابعة
المادة: تقنيات مسرحية

المحاضرة التاسعة: الموسيقى والمؤثرات الصوتية

مدرس المادة: أ.م.د مزاحم خضير حسين

الموسيقى والمؤثرات الصوتية :

تعتبر الموسيقى عنصرا لصيقا بالفعل المسرحي منذ القدم باشكال وتجليات مختلفة،فمنذ العصر القديم والمؤثرات الصوتية حضر في المسرح،اما في شكل موسيقى بواسطة مغنيين يقدمون الفرات الانشادية،او يصنعنون المؤثرات الصوتي التي تحيل الى الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق والزلازل مثلا،او بواسطة الاقنعة التي كانت تنتج اصواتا غير عادية وغير طبيعية من لدن الممثلين الذي يضعونها على وجوههم،وكانت في الغالب تساعد الممثل على تقديم الكائن الخرافي او الاسطوري الذي يجسده،لقد اصبحت الموسيقى والمؤثرات الصوتية عنصرا مركزيا يشتغل دلاليا وجماليا في البنية الدرامية للعرض المسرحي،بل اصبحت لغة تعبيرية واشارية دلالية لترجمة الخطاب بمظهر سمعي يحمل المعنى والمتعة،فقد عد افلاطون"الموسيقى احدى المحركات الرئيسية السامية للبشر(...)هي الصدق والحقيقة التي توجد منذ بدء الخليقة ومن خلالها عرف العالم النظام وتحقق له التوازن،ان التوظيف الموسيقي في العرض المسرحي ينطلق من كون هذا العنصر اما تأليفا موسيقيا خالصا يقدم مقطوعات غنائية،او يكون الحانا موسيقية،او يكون عبارة عن اغنية تحمل صفة الطراز يتم توظيفها،وعلى مستوى التوظيف يكون هذا العنصر في الغالب مكونا مصاحبا يمكن اعتباره نصا موازيا يستثمر للتعبير عن حالة او موقف،او للتمييز بين حدث او اخر،هناك علاقة محسوبة بين العمارة والموسيقى،فاذا كانت الموسيقى هي ترجمان العاطفة،فتلك العاطفة قد انعكست على الطابع المعماري وفنون بناءه وتشكيل طرازه،موسيقى القبائل البدائية التي تتمثل في دقات الطبول ذات التكرار المتجانس تنعكس عل مبانيها وطابعها البدائي او اكواخها المتماثلة والمتراصة بغير توافق او تجانس،فالموسيقى الريفية في كل بلد والتي تتسم ببساطة الحانها ورتابة انغامها التي تنتمي الى الطبيعة الحية وتنبت من ارضها،نجد لها انعكاسا على مبانيها التي تتميز بالبساطة والهدوء وبمواد بناءها التي استمدتها من الطبيعة المحيطة بها،ومن المسرحيات التي تحمل اجوائها الطرازية البغدادية القديمة والتي انعكست في الموسيقى التراثية مع التأليف المستنبط من تلك الموروثات الغنائية التي جاءت منسجمة مع الاجواء الشعبية في مسرحية(النخلة والجيران)،للكاتب (غائب طعمه فرمان)والف موسيقاها(حسين قدوري)فالاغاني واللوازم والمواويل لها حضورها في اشباع الوجدانات المهمشة.والموسيقى العربية ذات الانغام المتجانسة والتكرار المستمر للنغمات الاصلية وخلفيتها يمكن قرائتها او الاستماع اليها بسهولة على واجهات مباني الطراز العربي،اي التكرار السطحي المستمر بالنسبة للعقود والزخارف،ان تغير شخصية العمارة العربية من بلد الى اخر وتغير شكل العقود والقباب،قد وجد له تماثلا في تغير شخصية الموسيقى المعاصرة له،والموسيقى الكلاسيكية في كل بلد بما فيها من تعقيد او بساطة،وسطحية او عمق،وجدت لها انعكاسا صريحا على العمارة التي عاصرتها وانطبعت الحانها وانغامها على واجهات المباني وزخارفها ونسب تكوينها"فالموسيقى هي الفن الذي يمثل عنصر التحول الوجداني عبر العصور والحضارات.والخبرات الموسيقية التي يكتسبها المتلقي تلعب دورها الهام في متعته الثقافية والحسية فحسب،بل ايضا تمثل اساسا لتشكيل مستويات ذوقه واحساسة بالحضارة والفن والتاريخ،اذ لايمكن للموسيقى ان تكتب بقيود مطلقة وفقا لنظريات شديدة التحديد،والا اصبح الابداع الموسيقي علما واصبح العتبير الموسيقي هزيلا،فما يشكل الجمال في الموسيقى يظل سرا كامنا في انتظار التحليل الفلسفي الجمالي،لانها ابداع متجدد وتعبير عن كل ماهو موروث في بيئة الفنان وخبراته.

تتّخذ الموسيقى والمؤثرات الصوتية في المسرح أشكالاً تعبيرية متعددة ، فالموسيقى لغة حية مؤثرة تسهم في خلق الجو العام للعرض المسرحي ، أمّا المؤثرات الصوتية فإنها تساعد على الإيحاء بحدث ما أو موقف مُعيّن من خلال توظيف أبرز ملامحه الصوتية إذ نجد بأن صوت إطلاقة المسدس يُجَسّد فعل القتل خارج الخشبة ، وبذلك يظل المؤثر الصوتي ذو دلالة محدودة ، ترتبط بالفعل المباشر المُستَخدَم من أجله ، بينما الموسيقى تمتلك دلالات متنوعة تحدد نسيجها وأداءها وشكلها ومضمونها .

وترتبط الموسيقى إرتباطاً حسياً وتعبيرياً مباشراً بالأفعال الحيوية لأداء الممثل فوق خشبة المسرح ، فهي غالباً ماتُعبّر بصدق عن المشاعر والأحاسيس المختلفة ، التي يحاول العرض المسرحي إيصالها الى المتلقي في وحدة متجانسة تجمع كل العناصر الفنية المتشكلة فوق خشبة المسرح ، وبذلك يسير المرئي والمسموع جنباً الى جنب لإبراز المعاني والثيمات والأفكار فعندما يربط المتلقي بين الأفكار والمشاعر ، أو يربط المرئي بالمسموع ، ويُنشيء علاقة بين الأصوات والحركات ، فلذلك كله فائدته في تطوير الإرتباطات الحسية بين عناصر العمل الفني فللموسيقى تأثيرها الروحي النابع من قوة الخيال الذي تتحرك فيه مفرداتها ، فهي تتغلغل داخل النفس الإنسانية بقوة إيقاعها وتفاعل أنغامها ، وتكون الموسيقى ـ في بعض الأحيان ـ موصلة للمشاعر والأحاسيس أكثر من اللغة المنطوقة ، على حد تعبير (سوزان لانجر) ، فهي ترى أن القوة الحقيقية للموسيقى تكمن في تعبيرها الصادق عن الوجدان ، وهذا الصدق تعجز اللغة عن الوصول اليه ، وذلك مايذهب اليه (أدولف آبيا) أيضاً ، بأن الموسيقى هي التعبير المباشر عن الكينونة الداخلية للإنسان ، وأنها تُعبّر عن الحياة المستترة والخفية له ، فالموسيقى تُمثّل عنصر الزمان ، الذي تنتقل فيه ، في الوقت نفسه ، بإعتباره وسيطاً لها

إن للموسيقى تأثيرات حسية ونفسية تستطيع من خلالها خلق الجو العام للعرض والتحكّم بالقيم الجمالية والتعبيرية ، وهي بذاتها تستطيع في نفس الوقت الإرتقاء بذائقة المتلقي نحو الكمال والإحساس بالجمال والتفاعل التام مع أداء العناصر المسرحية البصرية . ويأتي تفاعلها بالدرجة الأولى مع الممثل والفضاء ، على إعتبار أن الصوت والموسيقى ، يشكّلان بنية ذات ملامح بيّنة وبارزة والموسيقى بصفتها إحدى جوانب المستوى السمعي من العرض المسرحي إضافة الى الكلمة المنطوقة والمؤثرات الصوتية ، فإنها تسير بخط متوازي مع المستوى البصري والحركي للعرض المسرحي ، أي أنها ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بكل ماهو مرئي في الحيز المكاني لفضاء العرض ، كالديكور والإضاءة والأزياء والماكياج والملحقات المسرحية إضافة الى التناغم والإنسجام التام واللانهائي بينها وبين الممثل الذي يسهم في ديناميكية وتفاعل تلك المستويات ، فهو يشارك مشاركة فاعلة في المستوى السمعي ـ الكلمة المنطوقة ـ كذلك على المستوى الحركي كونه المحرك النابض لهذا المستوى بإعتباره المركز فمرأى الجسد الحي تحت تأثير الموسيقى ، هو الذي يصنع العمل الفني ، وكذلك الديناميكية التي تميّز جسد الممثل في الفضاء المسرحي على المستوى المرئي مع باقي العناصر البصرية المكونة لهذا المستوى ، بإكتسابها لفعل الحركة وخروجها من حالة السكون الى حالة الحركة من حيوية الممثل وديناميكيته فالسماع والمشاهدة عنصران متداخلان ومتفاعلان ويشكّلان المضمون الفكري والشكل الجمالي والتعبيري للعرض المسرحي ، فبدون المشهد التمثيلي ، بكامل عناصره ، والكلمة والموسيقى ، لايُعَد المسرح كاملاً ، إن التوافق والإنسجام بين الهارمونية النابعة من الموسيقى وفعلها التأثيري على المتلقى ، وبين باقي عناصر العرض المسرحي تُشكّل حلقة أساسية وفعالّة لخلق الصورة الإبداعية النهائية لكل عرض مسرحي مهما تنوّعت أساليبه . فتناغم الموسيقى المُعبّرة ، عن الزمان ، مع الإضاءة التي تمنح الحياة للأشكال الساكنة في بيئة خلاّبة يضفي مسحة جمالية ودلالية على حركات الممثل الجسدية وتعزز حضوره على الخشبة بشكل بارز ، وهذا يتّفق مع آراء (آبيا) في بحثه الدائم عن صيغ مسرحية جديدة تستثير المتلقي وتحفّزه وجدانياً على المشاركة بشكل فاعل في الإستجابة العاطفية بإيقاع منتظم مابين المرئي والحركي والسمعي فهو يبحث عن معمار مسرحي يكتسب من الحركة والموسيقى والإضاءة ، نوعاً من أنواع السحر الذي يوحي بالمناخ النفسي والحسي للصراع الدرامي ، إن مسرحه عالم يُولد من أنصاف ظلال وخيالات ، تخلق منها الإضاءة رموزاً وتؤدي الموسيقى فيها دور ضابط الإيقاع فـ(الإيقاع) العام للعرض المسرحي تتحكّم فيه ، بالدرجة الأساس ، اللغة المنطوقة واللغة الجسدية واللغة التعبيرية للممثل ، ويتحكّم الإيقاع في شكل الموسيقى وقوّتها وحيويتها وانتقالاتها بإعتباره المصدر الأساس لها ، والموسيقى بدورها تسهم في إيقاع العرض وتنوعه وتحديد مساره فالموسيقى واللغة التعبيرية للجسد يحددان إيقاع المشهد ، فالإيقاع يُعتَبر النسغ

الذي يمنح الحياة للمسرحية ، فيضفي عليها جمالاً ، ويقلل الملل الذي يشعر به المتلقي - أحياناً - بفعل الأحداث ذات الوتيرة الواحدة ، ويضفي على مظهره تنوّعاً ، ويجعله أكثر إمتاعاً وبذلك تكتسب الموسيقى قيمتها كعنصر مؤثر من خلال الأثر الذي تُحدثه في نفس المتلقي ، فهي عون مثالي لتطوير حساسية المتلقي للصفات الإيقاعية في المظاهر السمعية والبصرية والحركية للإنتاج المسرحي ، والتي تخلق الحالة النفسية ، لتمنح المتفرج أفقاً أوسع في الإحساس بالجمال .

ويمكن تحديد وظائف الموسيقى مع المؤثرات الصوتية بما يلي:

1/ الموسيقى تقدم الدعم للنص المسرحي ، وتُعبّر عن الحدث ، بالإضافة الى مساهمتها في إسناد وخلق الجو العام ، فالتعبير الموسيقي يسطع من داخل التعبير المشهدي ، أي يكون من صلب موضوع العرض وليس دخيلاً عليه .

2/ تسهم الموسيقى في مساعدة الممثل على خلق الحالة النفسية للدور ، فهي تقدم له الإسناد في التعبير عن طبيعة الشخصية ودواخلها .

3/ تقوم الموسيقى بمساعدة المتفرج على إستيعاب الأحداث في تقديمها الدعم له بإعتبارها لغة جمالية تعبيرية مهمة في إطار العرض المسرحي ، مع باقي العناصر الفنية للوصول الى المبتغى النهائي من خلال عناصر الموسيقى المكونة وتراكيبها وأشكالها .

4/ تمتزج الموسيقى مع عناصر العرض وتتفاعل معها وتوحدها ، فهي تنظم الإيقاع في كل عنصر من العناصر الفنية المكونة للعرض المسرحي .

5/ تسهم الموسيقى في خلق الإنسجام والتوازن بين الجانب التشكيلي والجانب الصوتي في العرض المسرحي .

استخدام الموسيقى في العرض المسرحي، سواء كان لإسناد الجو النفسي للمشهد أو لمرافقة الكلام الملحن أو لتغطية فترات الصمت، قديما قدم المسرح نفسه بل حتى في شكل الفن المسرحي بصيغته المرتبة في القرن الخامس قبل الميلاد على يد الإغريق القدماء، فقد كانت الموسيقى مستخدمة في الطقوس الدينية وفي الاحتفالات القبلية، وكان للطبل أثرها في تعزيز المشاركة الوجدانية للمشاركين في الطقس او للمراقبين له، اذ كانت الموسيقى جزءاً مكملاً ُ للتراجيديا والكوميديا بمرافقتها للمقاطع الكلامية للحركة وكانت آلة الفلوت والادبو من الآلات المستخدمة آنذاك.

استمر استخدام الموسيقى فى الدراما الدينية فى القرون الوسطى وخصوصاً بمرافقة التراتيل فى الكنيسة.

في عصر النهضة ظهر نوع من المسرحيات سمي (الانترميزي) كان للموسيقى دور فعال منها وقد مهد ذلك النوع لظهور الأوبرا في القرن السابع عشر ولعل أهم تطور في استخدام الموسيقى في الدراما تاريخياً حدث على يد الموسيقار (ريتشارد فاغز) وذلك عندما رفض الصيغة الموسيقية الدرامية المتبعة في الاوبرا القديمة وعمل على خلق التوازن بين العناصر الموسيقية – الغنائية وبين العناصر الدرامية - الحبكة والشخصية والفكر واللغة وما إليها في حين كان العنصر الغنائي هو المتغلب في الأوبرا القديمة.

كان (شكسبير) يعطي أهمية للموسيقى في مسرحياته وكما هو الحال لدى كتاب المسرحية في العهد الاليزابثي، وفي ذلك الحين تحولت الموسيقى من جزء مكمل او أساسي في العرض المسرحي الى ان تصبح وسيلة للتعبير ويمكن أن نجد في إرشادات ذلك الشاعر الكبير في نصوص مسرحياته الى الموسيقى فنقرأ جملاً مثل (موسيقى جدية عميقة) أو (موسيقى ناعمة) أو (أبواق من الداخل.(

ومن المعروف عن المسرح الشرقي التقليدي - الهندي (الكاثاكالي) والصيني (اوبرا بكين)، والياباني (الكابوكى)، استخدامه للموسيقى المرافقة للكلام وللحركة وظهور العازفين على المسرح أمام أنظار الجمهور خلال العرض.

ويمكن القول إن الموسيقى التعبيرية والتصويرية قد أصبحت عنصراً مهماً في العرض المسرحي عند ظهور المدرسة الواقعية في النص وفي العرض من شأنها المساهمة في تحقيق

عامل الإيهام بالواقع عن طريق توفير مكونات البيئة صوتياً وبصرياً، فكان لزاماً تنفيذ بعض المؤثرات الصوتية مثل صوت تساقط المطر أو هبوب عاصفة أو صوت الرعد أو ضجيج الشارع وغير ذلك، كما أصبح لزاماً لتحقيق الأجواء النفسية في بعض مشاهد المسرحية ودعم الحالة العاطفية التي تمر بها الشخصيات الدرامية أن تستخدم موسيقى تعبيرية توافق الفعل الدرامي أو تتخلل فترات الصمت أو تغطي فترات الانتقال من مشهد الى آخر او من فصل الى آخر.

وفي العصر الحديث ظهر خلاف بين الدارسين والمطبقين للفن المسرحي حول أهمية استخدام الموسيقى في المسرح الدرامي، المؤيدون لاستخدامها كوسيلة تعبيرية وتصويرية يدعون مساعدتها للمشاهدين في انشدادهم للمشهد المسرحي، ومساعدتها للممثلين في أدائهم وتقمصهم للشخصيات الدرامية، حيث تنتقل مؤثراتها من السمع الى المشاعر، ويرى المعارضون أن استخدام مثل هكذا موسيقى يؤثر في نقاء الدراما، ويبررون معرفتهم بأن الموسيقى هي تجميل غير ضروري للدراما وإنها تثير الأحاسيس على حساب الإدراك والعقل.

وأنهي الخاطرة هذه بملاحظة مهمة هي أن المخرجين المسرحيين والسينمائيين في بلادنا وفي بلاد عربية أخرى يستخدمون مقاطع من الموسيقى الغربية كسيمفونيات بيتهوفن وجايكوفسكي وغيرهما، لتكون موسيقى تعبيرية أو تصويرية في مسرحياتهم او أفلامهم مع ان موضوعات أعمالهم وبيئاتها عراقية أو عربية، فما علاقة الموسيقى الغربية بها، وعندما تحتج عليهم بهذا الخصوص يرون بأن الموسيقى العربية او الشرقية طربية أكثر مما تكون تصويرية أو تعبيرية، ونحتج مرة أخرى ونقول أليس بإمكان الموسيقى العربي ان يؤلف موسيقى تعبيرية؟ ألم يستطع الفنان (نصير شمه) أو الراحل (منير بشير) ذلك، ألم يساهم (نصير شمه) بعزفه على العود في موسيقى تصويره لمسرحية الغربي (الطبيب الصديق) المعنونة (ألف حكاية وحكاية من سوق عكاظ) التي عرضت في المسرح الوطني أواخر الثمانينات، وماذا تقولون عن موسيقى (محمد عبد الوهاب) في أوبريت (قيس وليلى)؟ وماذا تقولون عن موسيقى (الهام المدفعي) التي استخدمها المخرج (محسن العزاوي) في مسرحية غربية هي (لا تدفنوا الموتى) التي قدمت في مسرح الرشيد أواسط الثمانينات منذ القرن الماضي.